

معاني النحو عن الجرجاني

The meanings of grammar about Al-Jurjani

حاشي سارة أحلام

جامعة زيان عاشور - الجلفة

hachimedelamine@gmail.com

المؤلف المرسل الكامل: حاشي سارة أحلام. الإيميل: hachimedelamine@gmail.com

الملخص باللغة العربية:

يقصد الجرجاني بمعاني النحو العلاقة بين مدلولات الألفاظ ، تلك العلاقات التي نشأت عن طريق ترتيب الألفاظ بحيث يمثل كل منهما بابا من أبواب النحو، و بحيث يكون لكل لفظ مع معناه المعجمي معنى أو وظيفة نحوية ، لذا فمصطلح النحو عنده أشمل من مصطلح النحو لدى علماء اللغة المعاصرين، فهو يحوي كل المعاني الوظيفية (غير المعجمية) التي تؤديها الكلمات المؤلفة في نسق كلامي سواء أكانت تلك الوظائف منبثقة عن قوالب تلك الكلمات و بنياتها الصرفية أم عن ترتيبها و الموقع الذي يشغله كل منهما، فمنهج عبد القاهر هو منهج النحو الذي لا يقف عند الصحة و الفساد، بل يتجاوزه إلى البحث في العلاقات التي تقيمها اللغة بين الكلمات ، و إلى توضيح معانيها و كشف غامضها .
و أوضح الجرجاني أن معاني النحو ترتبط بثلاثة مصطلحات :

- 1- التعليق : و يقصد به أن الكلام لا يكون من جزء واحد بل لأبد له من مسند و مسند إليه .
 - 2- الإعراب : و الذي يكمن دوره في تحديد الوظيفة النحوية الخاصة بالكلمة .
 - 3- الوجوه و الفروق : و هي الميزات التي تكون بين الصور المتعددة للمعنى الواحد .
- الكلمات المفتاحية: معاني النحو، الجرجاني، الإعراب، الوجود والفوارق.

Abstract:

By the meanings of grammar, al-Jurjani means the relationship between the meanings of words, those relationships that arose by arranging the words so that each of them represents one of the sections of grammar, and so that each word with its lexical meaning has a meaning or a grammatical function, so the term grammar to him is more comprehensive than the term of grammar among linguists Contemporaries, it contains all the functional (non-lexical) meanings performed by the words composed in a verbal format, whether those functions emanate from the templates of those words and their morphological structures or from their arrangement and the position occupied by each of them. Health and corruption, and even goes beyond it to researching the relationships that language establishes between words, to clarifying their meanings and revealing their ambiguities.

Al-Jurjani explained that the meanings of grammar are related to three terms:

- 1- Commentary: It means that the speech does not consist of a single part, but rather it must have a predicate and a reference to it.
- 2- Parsing: whose role lies in determining the grammatical function of the word.
- 3- Faces and Differences: They are the features that exist between the multiple images of the same meaning.

Keywords: Meanings of grammar, al-Jurjani, syntax, existence and differences.

مقدمة:

بلغت دراسة النحو ذروتها في عصر الخليل وسيبويه، غير أن النحاة في عهد الجرجاني انصرفوا عنه وقللو من أهميته وشأنه، فأصبح النحو شكليا و جافا، إلى أن جاء الجرجاني بكتابه "دلائل الإعجاز" الذي كشف فيه عن فائدة النحو ودوره في إيضاح معاني القرآن الكريم حيث جعله معيارا و مقياسا لمعرفة الصحة من السقامة، و الجرجاني يرى بأن النحو شامل لعلم المعاني وهذا ما بنى عليه نظريته الشهيرة "النظم" التي تقوم أساسا على معاني النحو، و من هنا تبادرت لدي مجموعة من التساؤلات سوف أحاول الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة وهي كالتالي:

- ما مفهوم معاني النحو؟

- ما هي أهم مواضعها؟

و الباعث على اختيار الموضوع هو الميل إلى النحو العربي و الرغبة في انجاز عمل يتصل بالقرآن الكريم.

وقد قسمت هذا الموضوع إلى محورين:

المحور الأول: تناولت فيه مفهوم معاني النحو وأهم المصطلحات التي تتعلق به.

المحور الثاني: تكلمت فيه على أهم موضوعات معاني النحو.

المحور الأول: مفهوم معاني النحو

يرى الجرجاني بأن معاني النحو و النظم كلمتين مترادفتين حيث يقول: " و كنا قد علمنا أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو و أحكامه فيما بين الكلم، و أنا إن بقينا الدهر نجهده أفكارنا حتى نعلم للكلم المفردة سلكا ينظمها، و جامعا بجمع شملها و يؤلفها، و يجعل بعضها بسبب من بعض غير توخي معاني النحو و أحكامه فيها طلبنا ما كل محال دونه"⁽¹⁾

و يقول: " اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، و تحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"⁽²⁾

يظهر بوضوح من النصوص السابقة أن عبد القاهر الجرجاني يميز بين القواعد النحوية و معاني النحو، فالقواعد النحوية ترتبط ارتباطا وثيقا بقواعد التركيب و بأنماط البناء النحوي المجرد (القوانين و الأصول) أما معاني النحو فهي التي ترتبط بالمعنى و بنظامه و بتشكله على وفق سنن العربية و قواعدها⁽³⁾.

و معاني النحو تمثل إحدى المستويين من مستويات المعنى في نظرية النظم (معاني النحو/ معاني الكلم).

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ب ت ص 8.

2- نفسه ص 81.

3- د/عبد الله محمد زين بن شهاب، التأويل النحوي في ضوء نظرية النظم، مجلة كلية التربية، جامعة عدن، عدد 12، 2011 ص 232.

يقول الجرجاني: "إن النظم إنما هو " الحمد " من قوله تعالى :

" الحمد رب العالمين الرحمن الرحيم " مبتدأ و الله خبره و رب صفة لأسم الله تعالى و مضاف ... " (4)

" فالنظم في العبارة القراءانية هو في نظر عبد القاهر العلاقات النحوية بين مدلولات ألفاظها، تلك العلاقات التي نشأت عن طريق ترتيب الألفاظ بحيث يمثل كل منها باباً من أبواب النحو، و بحيث يكون لكل لفظ مع معناه المعجمي معنى أو وظيفة نحوية، فإذا كان للفظ " الحمد " مثلاً معناه المعجمي المدلول عليه بمادته، فإن له معناه النحوي المدلول عليه، و هو كونه مبتدأ يقتضي خبراً هو الجار و المجرور بعده، و عن تلاقي هاتين الداليتين في كلمات العبارة تحقق النظم و كانت الفائدة. (5)

و يمكن تعريف المعاني النحوية أيضاً بأنها " المعاني الذهنية التي تتولد في فكر المتكلم عند نظم الجمل، تلك المعاني التي تنشأ من تحديد العلاقات بين الأشياء المعبر عنها بالكلم، فتربطها ببعضها، كما يربط السلك الشفاف حبات العقد، بذلك يصبح الكلام نوعاً من الهديان في حالة فقدانها، (6) و لكي نوضح أكثر معاني النحو نتطرق إلى هذه المصطلحات :

أولاً : التعليق

جاءت معاني النحو مرتبطة بالتعليق يقول الجرجاني:

"... لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، يبيي بعضها على بعض، و تجعل هذه بسبب من تلك " (7)

و يقول : " الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها و لكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها من فوائد و هذا علم شريف و أصل عظيم " (8).

فالجرجاني يقصد هنا أن الألفاظ لم توضع لتبقى حبيسة معانيها و لكن لكي تكسب حياة جديدة فتظم إلى ما سواها من الألفاظ لتحقيق الفائدة فهو يفرق بين الدلالة الإفرادية للكلم و الدلالة التركيبية لها.

يقول حاتم الضامن: " و هي الطرق و الوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، و في معاني النحو و أحكامه، و يظهر هنا أن الكلام لا يكون من جزء واحد و أنه لا بد من مسند و مسند إليه ... " (9).

و يقول شوقي ضيف: " فالنظم بذلك هو معاني النحو التي يدور عليها تعلق الكلام ببعض ببعض " (10).

و هذا ما أكد عليه أيضاً محمد عبد المطلب: " فمعاني النحو هي التي يتعلق بها الفكر، و هي تمثل العلاقات بين معاني الكلمات في النفس، و هذه العلاقات النحوية هي التي رتبت معاني الكلم على أساسها

4- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 452.

5- حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998، ص 36.

6- سناء حميد البياتي، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل، ط1، 2003، ص 15.

7- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 55.

8- نفسه ص 4.

9- حاتم صالح الضامن، نظرية النظم تاريخ و تطور، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1997، ص 49.

10- شوقي ضيف، البلاغة تطور و تاريخ، دار المعارف، القاهرة ط 9 ب ت، ص 168.

قي نسق معاينها، ولا يتصور أن يكون للفظلة تعلق بلفظة أخرى من غير أن يعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك" (11).

فلا أساس لأي علاقة تركيبية حتى تقوم علاقات بين معاني الكلمات المفردة، وهذا يعني بدوره أنه لا يتصور نشوء علاقات نحوية من إسناد أو تخصيص أو غيرها بين ألفاظ لا تحمل أي دلالة" (12).

ثانياً: الإعراب

تتضح وظيفة الإعراب عند الجرجاني في قوله: "الألفاظ مغلقة على معاينها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه هو المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه.." (13)

فالإعراب في نظر الجرجاني هو الذي يتم به الكشف عن المعاني أو العلاقات النحوية فوظيفة الإعراب عنه تكمن في الإيضاح والتفسير.

ومادام أن الإعراب يكشف عن العلاقات النحوية بين معاني الكلمات، فمن الطبيعي أن الكلمة لا تعرب في حال انعزالها مفردة، بل إنها تعرب حينما يكون لها علاقة بما يجاورها أو يتفاعل معها في سياق الكلام، وهذا ما يلفت نظرنا إليه "السكاكي" حيث يصرح بأن الإعراب لا ينتظم الكلمات: "إلا بعد أن يكون هناك تعلق فينتظم معاينها" (14).

و في ظل هذا التصور تصبح العلامة الإعرابية على الكلمة بمثابة دليل أو قرينة لفظية على الوظيفة النحوية التي تشغلها الكلمة في موقعها، فإذا كانت الكلمة صالحة بطبيعة مبنائها لشغل مواقع كثيرة فإن تباين الحركة الإعرابية من موقع إلى موقع يصبح علامة لوظيفتها الخاصة في كل منها، يقول الزجاجي في ذلك: "أن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني فقالوا

ضرب زيد عمرا) فدلوا برفع زيد على أن الفعل له، وينصب عمرو على أن الفعل واقع به" (15).

فليست العلامة الإعرابية مجرد وظيفة شكلية فقط، وإنما إشارة دالة على الوظيفة النحوية الخاصة بالكلمة التي تحملها.

وفي المقابل يقول الجرجاني أن العبرة ليست بمعرفة القواعد النحوية وحدها ولا في الإعراب فقط، ولكن فيما تؤدي إليه هذه القواعد.

و أوضح أن الأمر يتعلق بمدلول العبارات: "أن الاعتبار بمعرفة مدلول العبارات، لا بمعرفة العبارات، فإذا عرف البدوي الفرق بين أن يقول: "راكبا"، كانت عبارة النحويين فيه أن يقولوا في "راكب" أنه "حال" وإذا قال "الراكب" أنه صفة جارية على "زيد" (16).

11- د/ محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1994، ص53.

12- محمد التنجي، دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط2، 1979، ص45.

13- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص28.

14- السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ب ت، ص119.

15- عبد الرحمن الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط2، 1982، ص69.

فهنا قصد الجرجاني أن المتكلم يتوخى معاني الألفاظ و دلالتها وعلى مقتضى هذه المعاني يرتب معاني النحو وليس العكس فليس المقصود بأحكام النحو مجرد القواعد ولكن المقصود هو المعنى الذي ينشأ على اختلاف صورة التركيب، فهو لا ينظر إلى النحو من الزاوية الضيقة التي تعنى فقط بالإعراب بل ينظر إليه من زاوية أعم وهي المعنى.

ثالثاً: الوجوه والفروق

يقول الجرجاني: " وإذا عرفت أن مدار النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيها .."⁽¹⁷⁾

و يقول: " وذلك أن النظم كما بينا هو توخي معاني النحو وأحكامه و فروقه ووجوه العمل بقوانينه و أصوله.."⁽¹⁸⁾

ويقول أيضاً: " وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم ينظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب و فروقه، ينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: "زيد منطلق" و "زيد ينطلق" و "ينطلق زيد" "منطلق زيد" و "زيد المنطلق" و "المنطلق زيد" و "زيد هو المنطلق" و "زيد هو منطلق" ... يضع كل من ذلك مكانه و يستعمله على الصحة و على ما ينبغي له"⁽¹⁹⁾.

هنا الخبر ورد على وجوه متعددة وهي ثمانية وجوه :

زيد منطلق

زيد ينطلق

ينطلق زيد

منطلق زيد

زيد المنطلق

المنطلق زيد

زيد هو المنطلق

زيد هو منطلق

اذن يمكننا القول بأن الوجوه هي التعبيرات المختلفة أو الطرق المتعددة التي يتحملها الباب النحوي الواحد لتأدية غرض ما"⁽²⁰⁾.

فالوجوه ليست إلا بدلائل أو هياكل مختلفة لمعنى واحد من معاني النحو، بحيث يكون لكل وجه أو هيئة معنى دلالي خاص لا يكون في غيره من الوجوه أو الهياكل بعد ان تكون حقيقة المعنى، أو أصله ، في جميعها واحدة"⁽²¹⁾

16- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص418.

17- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص87.

18- نفسه، ص452.

19- نفسه، ص81 ، 82.

20- مصطفى حجاج، أثر وظيفية الجرجاني في تفسير الزمخشري، رسالة ليسانس، ص22.

و الفروق هي عبارة عن خواص معان تظهر في كل وجه دون غيره من الوجوه الأخرى و على الناظم أو منثى الكلام في هذه الحالة ان يتخير البديل الأمثل – أو الوجه الأصح – للتعبير بدقة عما يريد إبلاغ السامع به" (22).

للتوضيح أكثر عن الفروق التي تكون في الخبر نتبع ما قاله الجرجاني: "الفرق بين "زيد منطلق" و "زيد ينطلق".

"...فإذا قلت : "زيد منطلق" فقد أثبت الانطلاق فعلا به من غير أن تجعله يتجدد و يحدث منه شيئا فشيئا... فإذا قلت : "زيد هاهو ذا ينطلق" فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءا فجزءا و جعلته يزاوله و يزجيه" (23).

الفرق بين "المنطلق زيد" و "زيد المنطلق" :

يقول الجرجاني: و أما قولنا "المنطلق زيد"، و الفرق بينه و بين "زيد المنطلق" :...بيانه أنك إذا قلت: "زيد المنطلق" فأنت في حديث انطلاق فقد كان و عرف السامع كونه إلا أنه لم يعلم أمن زيد كان أم عمرو ؟ ، فإذا قلت : "زيد المنطلق" ، أزلت عنه الشك و جعلته يقطع بأنه كان من زيد بعد أن كان يرى ذلك في سبيل الجواز، و ليس كذلك إذا قدمت "المنطلق" فقلت: "المنطلق زيد" بل يكون المعنى حينئذ على أنك رأيت إنسانا ينطلق.

بالبعد منك فلم يثبت و لم تعلم أزيد هو ام عمرو فقال لك صاحبك: "المنطلق زيد" أي هذا الشخص الذي تراه من بعيد هو زيد" (24).

يقول د/ سعد سليمان حمودة: "معرفة المعاني التي يقدمها النحو، و الوقوف على الميزات و الفروق التي تكون بين الصور المتعددة للمعنى الواحد كوجوه الخبر و الحال، و تعدد استخدامها، و كذا غيرها من أبواب النحو هو السبيل الوحيد لفهم العلاقات الكامنة في النظم، و هي علاقات قائمة على معاني النحو، و مراعية لأصوله و قوانينه التي يجب ألا يزيغ عنها الناظم" (25).

إذن منهج عبد القاهر هو منهج النحو الذي لا يقف عند حدود الحكم بالصحة و الفساد بل يمتد إلى البحث في العلاقات التي تقيمها اللغة بين الكلمات، و إلى إجتيلاء معانيها و كشف غامضها. (26)

المحور الثاني: موضوعات معاني النحو:

أولا: الصيغة :

21- سليمان بن علي، صلة النحو بعلم المعاني لدى الإمام عبد القاهر من خلال مصطلح الوجوه و الفروق، رسالة ماجستير، ص38.

22- نفسه، نفس الصفحة.

23- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص174.

24- السابق ، ص186.

25- سعد سليمان حمودة، البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، 1997 ، ص175.

26- عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1998"، ص397.

بين الجرجاني المزايا التي تنفرد بها بعض الصيغ في تركيب ما دون آخر، حيث رأى بأن الصيغة لا تكتسب الفضل والمزية إلا إذا كانت هناك صيغة أخرى صالحة لأداء وظيفتها من جهة، وقاصرة عن أداء ما تؤديه في سياقها الخاص" (27).

حيث يقول: "وإذا قد عرفت هذا الفرق، فالذي يليه من فروق الخبر، هو الفرق بين الإثبات إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل، وهو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه وبيانه، أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء، فإذا قلت "زيد منطلق" فقد أثبت الانطلاق فعلاً له، من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: "زيد طويل" و"عمرو قصير": فكما لا تقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجههما وتثبتهما فقط، وتقتضي بوجودهما على الإطلاق كذلك لا تتعرض في قولك: "زيد منطلق" لأكثر من إثباته لزيد.

وأما الفعل، فإنه يقصد فيه إلى ذلك فإذا قلت: "زيد هاهو ذا ينطلق" فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً، وجعلته يزاوله ويزجيه، وإن شئت أن تحس الفرق بينهما من حيث يلفظ فتأمل هذا البيت:

لا بألف الدرهم المضروب خرقتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى، ولو قلت بالفعل: "لكن يمر عليها وهو ينطلق" لم يحسن (28)

ما سبق قائلًا: ويوضح

"وإذا أردت أن تعتبره حيث لا يخفي أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه، فانظر إلى قوله تعالى: "وكلهم باسط ذراعيه بالصيد" فإن أحدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وأن قولنا: "كلهم يبسط ذراعيه" لا يؤدي الغرض وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاولته وتجدد الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولته وتزجيه فعل، ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً. ولا فرق بين "وكلهم باسط" وبين أن يقول: "وكلهم واحد" مثلاً، في أنك لا تثبت مزاولته، ولا تجعل الكلب يفعل شيئاً، بل تثبته بصفة هو عليها، فالغرض إذن تأدية هيئة الكلب" (29)

ويقول أيضاً: "وإذا ثبت الفرق بين الشيء والشيء في مواضع كثيرة، وظهر الأمر بأن ترى أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه، وجب أن تقتضي بثبوت الفرق حيث ترى أحدهما فتصلح في مكان الآخر، وتعلم أن المعنى مع أحدهما غيره مع الآخر، كما هو العبرة في الخفي على الجلي، وينعكس لك هذا الحكم أعني أنك كما وجدت الاسم يقع حيث لا يصلح الفعل مكانه، كذلك تجد الفعل يقع ثم لا يصلح الاسم مكانه، ولا يؤدي ما كان يؤديه، فمن البين في ذلك قول الأعشى:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في يفاع تحرق
نشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلوق

27- ينظر حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، ص 167، 168.

28- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 174، 175.

29- نفسه، ص 175.

معلوم أنه لوقيل : " إلى ضوء نار متحرقة" لنبا عنه الطبع وأنكرته النفس، ثم لا يكون ذلك النبوء ذلك الإنكار من أجل القافية وأنها تفسد به، بل من جهة أنه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال⁽³⁰⁾ .
 "وعبد القاهر يورد هذا التعليق في سياق حديثه عن فروق الخبر (مصطلح الخبر هنا أعم من مفهومه النحوي) فالفرق بين الإخبار بالفعل والإخبار بالاسم أن صيغة الفعل تفيد تجدد المعنى المثبت بها شيئاً بعد شيء، أما صيغة الاسم فإنها تفيد اللزوم والثبات في هذا المعنى، وهو لون من ألوان "الوجوه و الفروق" النحوية التي ذكرها في هذا الموطن والتي ترجع المزية فيها - في نظره - إلى استثمارها في الأساليب الفنية، بحيث يختار لكل أسلوب من الصيغ والمباني ما هو أكثر ملائمة لغرضه الخاص، ففي تعبير الأعشى السابق كان لصيغة الفعل (تحرق) مزيته لدلالتهما على تجدد اشتعال النار أن بعد أن، الأمر الذي يلائم " المبالغة في الكرم " ، وهو الغرض الذي يريده الشاعر، ولا تتجلى تلك المزية - كما يتضح في نص عبد القاهر- إلا عن طريق قياس تلك الصيغة إلى صيغة الاسم التي تحتل موقعها (افتراضاً) فينبو عنها الطبع لمجاقتها للغرض وعدم لياقتها بالحال، و بعبارة أخرى إن مزية الصيغة لا تتضح إلا عن طريق تبرير اختيارها دون مقابلها في سياقها الخاص⁽³¹⁾ .

ثانياً: التقديم و التأخير :

إن أمر التقديم و التأخير قرر قواعده و بينها أفضل بيان الإمام عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - و كان الناس من قبل عبد القاهر يتحدثون عن التقديم و التأخير حديثاً عاماً فيقولون : إنما يقدم الشيء للاهتمام به، فإذا كانت هناك مسألة أعياء الطلاب حلها، أو لص أعياء الناس معرفته، فإنهم يقولون : حل المسألة خالد ، و أمسك اللص سعيد، أما إذا كان الذي حل المسألة، أو أمسك اللص، لا ينتظر منه ذلك ، فإنهم يغيرون النظم فيقولون : حلت فاطمة المسألة ، و أمسك سعيد اللص⁽³²⁾ .
 و يقول في ذلك بسبويه " و كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، و هم ببيانه أعنى، و إن كانا جميعاً بهماهم و يعيناهم⁽³³⁾ .

و بعض الناس هونوا أمر التقديم، و صغروا شأنه، و رأوا النظر فيه و الاشتغال فيه ضرباً من التكلف، و ذلك لظنهم أنه يكفي أن يقال في كل شيء قدم أنه مقدم للعناية.

أما الجرجاني فيعد مبحث التقديم و التأخير أساسياً لإقامة الكلام، و استعماله على الصحة و على ما ينبغي له، شأنه في ذلك شأن مباحث أخرى، كالتعريف و التنكير و الحذف... إذ يقول بعد أن يبين رأيه هذا أن : " هذا هو السبيل ، فلست أجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً، أو خطؤه إن كان خطأ إلى "النظم"

و يدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو⁽³⁴⁾ .

30- السابق، ص176 .

31- حسن طبل ، المعنى في البلاغة العربية، ص168.

32- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان للنشر و التوزيع، طبعة مزبدة و منقحة، عمان، الأردن، ط4،

1987، ص210.

33- سبويه، الكتاب، تح عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988، ج 1، ص15.

و يعرف التقديم و التأخير قائلاً : " هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، ولا يزال يفتر لك عن بديعة ، و يفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروكك مسمعه ، و يلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سببه أن راقك و لطف عندك ، أن قدم فيه شيء ، و حول اللفظ من مكان إلى مكان ⁽³⁵⁾ .

و يرى أن التقديم يكون على وجهين :

الأول : تقديم على نية التأخير ، و فيه يبقى الشيء على الحكم الذي كان عليه .

الثاني : تقديم على نية التأخير ، و فيه ينتقل الشيء من حكم إلى حكم آخر .

أ/- تقديم على نية التأخير : " و ذلك في كل شيء أقررت مع التقديم على حكمه الذي كان عليه ، و في جنسه الذي كان فيه ، كخبر المبتدأ ، و المفعول إذا قدمته على الفاعل ، كقولك "منطلق زيد" و "ضرب عمرا زيد" ، معلوم أن "منطلق" و "عمرا" لم يخرجوا بالتقديم عما كان عليه ، من كون هذا خبر مبتدأ ، و مرفوعاً بذلك ، و كون ذلك مفعولاً و منصوباً من أجله ، كما يكون إذا أخرت ... ⁽³⁶⁾

و من الملاحظ أن هذا الوجه فيه مخالفة للنسق الأصلي للجملية العربية ، و هي ليست مخالفة اعتباطية أو عشوائية ، إنما يقصد المتكلم من خلالها إيصال معنى ليس متيسراً له تحقيقه بصياغة جملة متوافقة من النسق الأصلي للجملية العربي ، أي المحافظة على رتب عناصرها كما هي في الأصل الذي أجمع عليه النحاة ⁽³⁷⁾ .

ب/- تقديم لا على نية التأخير :

و لكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم ، و تجعل له باب غير بابه ، و إعراباً غير إعرابه ، و ذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ و يكون الآخر خبراً له ، فتقدم تارة هذا على ذلك ، و أخرى ذلك على هذا ، و مثاله ما تصنعه يزيد و المنطلق حيث تقول مرة : "زيد المنطلق" و أخرى "المنطلق زيد" فأنت في هذا لم تقدم "المنطلق" على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كانا عليه من التأخير ، فيكون خبر مبتدأ كما كان ، بل على أن تنقله عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأ ، و كذلك لم تؤخر "زيداً" على أن يكون مبتدأ كما كان ، بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبراً و يظهر من هذا قولنا : "ضربت زيداً" و "زيداً ضربته" لم تقدم "زيداً" على أن يكون مفعولاً منصوباً بالفعل كما كان ، و لكن على أن ترفعه بالإبتداء و تشغل الفعل بضميره و تجعله في موضع الخبر له ⁽³⁸⁾ .

و مضى عبد القاهر يوضح معنى التقديم و التأخير في صوره المختلفة :

- تقديم الفعل على الاسم في الاستفهام و الفعل الماضي ، و عكسه .

- تقديم الفعل على الاسم في الاستفهام و الفعل المضارع ، و عكسه .

34- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، 82 ، 83 .

35- نفسه ، ص 106 .

36- السابق ، ص 106 .

37- فاطمة البريكي ، إشكالية التقديم ، و التأخير في الدرس البلاغي التراثي ، مجلة جامعة الملك سعود ، م 20 ، الأدب 2 ، 2008 ، ص 266 .

38- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 106 ، 107 .

- تقديم الفعل على المفعول في الاستفهام، عكسه.
- تقديم المفعول على الفعل في الاستفهام، وعكسه .
- تقديم الاسم على الفعل مع النفي، وعكسه.
- تقديم الاسم على الفعل في الخبر المثبت، وعكسه⁽³⁹⁾.

ومن أمثلة تحليله للتقديم والتأخير:

الاستفهام بالهمزة والفعل الماضي :

يقول الجرجاني في ذلك: "أنك إذا قلت: "أفعلت" فبدأت بالفعل، كان الشك في نفسه و كان غرضك من استفهامه أن تعلم وجوده، وإذا قلت: "أأنت فعلت؟" فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه، ومثال ذلك أن تقول في تقديم الفعل: "أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟" تبدأ في هذا ونحوه بالفعل لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه، لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه... وتقول: "أأنت بنيت هذه الدار؟"، (وهذا في تقديم الاسم)، إنما شككت في الفاعل من هو، فهذا من الفرق لا يدفعه دافع، ولا يشك فيه شك، ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر⁽⁴⁰⁾.

ثالثا: الحذف والذكر:

يعد الحذف من مباحث الجملة التي عني بها علماء البلاغة، فمن الخصائص الأولى للعربية الإيجاز، و مادام الأمر كذلك فإن كل كلمة أو جملة يمكن أن يفهم المعنى بدونها، لوجود قرائن تدل على الحذف حري بها أن تحذف، فالحذف – إذن – أمر لا مناص منه، فما بالك إذا كان للحذف ميزة أخرى يزدان بها الكلام ويجمل رونقا..⁽⁴¹⁾

أما الذكر فلم يعرض له إلا المتأخرون من علماء البلاغة، ذلك لأن الذكر هو الأصل ويعرف الجرجاني الحذف قائلا:

"هو باب دقيق المسلك لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة وتجديك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون به بيانا إذا لم تبين⁽⁴²⁾.

و الحذف عند النحويين قسمان :

أحدهما واجب والآخر جائز، والذي تحدث عنه الجرجاني من النوع الثاني أي الحذف الاختياري وهذا الذي تتجلى القيمة الفنية في تخييره عن طريق مقارنته بالذكر الذي لا ينهض بما يقوم به في سياقه الخاص من وظائف نحوية خاصة.⁽⁴³⁾

وقد تكلم الجرجاني على نوعين من الحذف: حذف المبتدأ، وحذف المفعول به، ومن أمثلة تحليله لهما:

39- ينظر، نفسه من ص 106 إلى ص 145.

40- السابق، ص111، 112.

41- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنائها، ص247.

42- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص146.

43- نفسه، نفس الصحة.

- مثال حذف المبتدأ :

اعتاد قلبك من ليلى عوائده
و هاج أهواءك المكنونة الطل
ربع قواء أذاع المعصرات به
و كل حيران سار ماؤه خضل⁽⁴⁴⁾
فالمحذوف هنا هو المبتدأ : "المسند اليه" و التقدير هو: " ربع "

و الشاعر يتحدث عن الهموم التي تعاود قلبه حين يهيج ذكرى ليلى اليه ذلك الطلل الذي لم تبقى منه العاديات شيئاً ، و أصبح خاليا قواء، و يشير عبد القاهر إلى مثل هذا النوع من الحذف و كأنه عادة متبعة عندهم حين يذكرون الديار، كما يشير إلى فائدة لغوية أفادها من شيخه و هي أن كلمة " ربع " لا تعرب بدلا من الطلل، لأن الربع أكثر من الطلل، و الشيء يبدل مما هو مثله أو أكثر منه، فأما الشيء من أقل منه فهو فاسد لا يتصور .⁽⁴⁵⁾

و يضع عبد القاهر خلاصة بعد شرحه لحذف المبتدأ يقول :

" و إذا قد عرفت هذه الجملة من حال الحذف في المبتدأ، فأعلم أن ذلك سبيله في كل شيء، فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه ، و حذف في حال ينبغي أن يحذف فيها ، إلا و أنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، و ترى إضماره في النفس أولا و آنس بالنطق به.⁽⁴⁶⁾

- مثال حذف المفعول به :

قول عمرو بن معدي كرب :

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم
نطقت ولكن الرماح أجرت

" أجرت " فعل متعد، و معلوم أنه لو عداه لما عداه إلا إلى ضمير المتكلم نحو :

" ولكن الرماح أجرتني " و أنه لا يتصور أن يكون ههنا شيء آخر يتعدى إليه، لاستحالة أن يقول: " فلو أن قومي أنطقتني رماحهم " ثم يقول : " ولكن الرماح أجرت غيري إلى أنك تجد المعنى يلزمك أن لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه إلى لفظك ، و السبب في ذلك أن تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض ، و ذلك أن الغرض هو أن يثبت أنه كان من الرماح إجرا و حبس ... و لو قال : " أجرتني " جاز أن يتوهم أنه يعني بأن يثبت الرماح إجرا ، بل الذي عناه أن يبين أنها أجرته ، فقد يذكر الفعل كثيرا و الغرض منه ذكر المفعول مثاله أنك تقول : " أضربت زيدا ؟ " و أنت لا تذكر أن يكون كان من المخاطب ضربا، وإنما تذكر أن يكون وقع الضرب منه على زيد ، و أن يستجيز ذلك أو يستطيعه، فلما كان في تعدية " أجرت " ما يوهم ذلك، و وقف فلم يعد البتة، و لم ينطق بالمفعول ، لتخلص العناية لإثبات الإجراء للرماح و تصحيح أنه كان منهما، و تسلم بكليةها لذلك.⁽⁴⁷⁾

44- نفسه، نفس الصفحة.

45- توفيق الفيلى. بلاغة التراكيب (دراسة في علم المعاني)، مكتبة الآداب للنشر و التوزيع، القاهرة، ط ب ت ، ص 48.

46- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 152، 153،

47- نفسه، ص 155، 156.

خاتمة :

- من خلال ما سبق نخلص إلى ما يلي :
- معاني النحو تتأتى من انتظام الكلمات في التركيب.
 - معاني النحو مردها إلى النحو وأحكامه .
 - صحة أو فساد النظم تعود للمعاني النحوية .
 - التعليق والإعراب والوجوه والفروق مصطلحات أساسية تقوم عليها معاني النحو.
 - موضوعات معاني النحو أساسية في إقامة الكلام (الصيغة/ التقديم والتأخير/ الحذف والنكر).
 - النحو عند الجرجاني يتجاوز القواعد النحوية إلى الجودة الفنية فليس المقصود بالنحو قواعد التركيب و أنماط البناء النحوي و إنما المقصود المعنى و نظامه و تشكله على وفق سنن العربية و قواعدها.